توظيف التراث الادبي في الشعر الليبي المعاصر

د.عبد السلام عبد الله علي حسين
جامعة طرابلس

التمهيد:

تحتل كلمة (تراث) في الثقافة العربية مكانةً مرموقةً، وذلك لما للتراث العربي بكافة أشكاله وأنواعه من أهمية كبيرة، فهو ماضي الأمة العريق وأصالتها المشرقة، فقلما نجد إنسانًا عربيًا يتخلَّى عن تراثه ولا يفتخر به؛ لأنَّ ذلك أمر ليس من شيمه، بل نجد العرب قد اهتموا بالتراث العربي اهتمامًا كبيرًا، ووضعوه في ميزان حياتهم، وعملوا على توعية الأجيال بعراقة هذا التراث، وكان من أهم وسائل الاهتمام بالتراث العمل على توظيفه في الأدب روايةً ومسرحًا وشعرًا، ونظرًا لاحتلال الشعر المكانة الأبرز بين سائر ألوان الأدب الأخرى، فقد حظي الشعر العربي بشتَّى ألوان التراث، وأصبحت القصيدة العربية تتغنَّى بالتراث في أحضان أبياتها، بل ويمكن القول بأنَّ جمال القصيدة العربية أصبح يتوقَّف على قدرة استدعائها للتراث.

وبما أنَّ الشعر الليبي جزء لا يتجزأ من الشعر العربي فقد اعتنى هو الآخر بالتراث بشكل عام، وعمل على توظيفه مستخدمًا في ذلك وسائل متعدِّدة؛ لتتغنَّى القصيدة الليبية بالتراث، حيث نجد معظم الشعراء بمختلف أهواءهم وظَّفوا التراث في قصائدهم توظيفًا كبيرًا، حتى أنَّ القارئ عندما يقرأ قصائدهم ويسبح في فضاء نصها ينتقل إلى حالة شعورية جميلة، تجعله وكأنَّه يرى التراث أمام عينيه.

إنَّ الشعر الليبي يُشوّق أيّ باحثٍ لتناول موضوع توظيف التراث فيه، ولكنِّي أردت أنْ يكون هذا البحث أكثر عمقًا وتفصيلاً، وذلك من خلال إفرادي لدراسة التراث في شعر

كوكبة من الشعراء الليبيين، وليس بشكل عام، وقد وقع اختياري على عددٍ محدودٍ منهم، بعد أنْ قمت بقراءة مجموعة من دواوينهم الشعرية، فوجدت في شعرهم توظيفًا كبيرًا للتراث، كما أنَّ شعرهم جذبني كثيراً لموضوع الدراسة لما فيه من عراقة.

ولا شك أنَّ عملية توظيف التراث عملية ليست باليسيرة؛ لأنَّها تعتمد على استدعاء النصوص التراثية الغائبة، وتضمينها في بنية النص الحاضر، ليحدث نوعاً من التلاحم البنيوي بين كلا النصين، وهذا يتوقَّف بالطبع على اتساع الجانب المعرفي والثقافي بالتراث من ناحية، وعلى مدى إمكانية امتلاك الشاعر لأدوات التوظيف المختلفة من ناحية أخرى، والتي يظهر مدى توفرها عند هؤلاء الشعراء من خلال عملية تحليل وتذوُّق قصائدهم.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى التعاطي مع إنتاج بعض ما جاء عليه الشعر العربي في ليبيا، ومحاولة تحديد إبداع عدد من الشعراء وطبيعة شعرهم، وبيان قدرتهم على تخطِّي الزمن التاريخي، وإعطاء تجاربهم نوعاً من المعاصرة.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية الدراسة عن كونها تبحث في موضوع استخدام الشخصيات التراثية في الشعر الليبي المعاصر، وهي ذات غرض علمي بحث، قد يسهم في فتح آفاقٍ جديدةٍ، ودراستها بشكل أعمق، وربما تكون دافعاً للمزيد من الدراسات في هذا المجال.

تساؤلات الدراسة:

تنطلق الدراسة من تساؤلات جاءت على النحو التالي:

1- هل استطاعت هذه الشخصيات التراثية أنْ تَكُون من الوسائل الأدق تمثيلاً لهموم الشاعر؟

2- ما علاقة الإتيان بالشخصيات التراثية وفاعليتها لدى الشعراء الليبيين؟

3- هل لجوء الشاعر الليبي إلى الاستعانة بهذه الشخصيات يعد نوعاً من الوعي الجديد بما يجب أنْ يكون عليه الشعر المعاصر الذي يعكس مجريات الواقع في تعاطيه مع ما يجري؟

منهج البحث: يقوم هذا البحث على تطبيق المنهج الوصفي التحليلي، وذاك ما تقتضيه طبيعة هذا البحث.

هيكل البحث:

يتمثل الهيكل البحث بتعريف التراث لغةً واصطلاحاً، وعلاقة الشاعر بالتراث، والشخصيات التراثية. وأنواع الشخصيات التراثية لدى الشعراء الليبيين، وهي الشخصيات التاريخية، والشخصيات التراثية الأدبية، والشخصيات الأسطورية الشعبية. وأخيراً الخاتمة.

أولاً: تعريف التراث:

1- **التراث لغةً:** هو من مادة (ورث)" إنَّ الوارث صفة من صفات الله –عزَّ وجلْ– فالله يرث الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين، أي يرجع ما كان ملك العباد إليه وحده لا شريك له".[1]

وقيل بأنَّ هذا اللفظ قد ورد في معاجم قديمة مرادفاً لمصادر أخرى كالإرث والورث والميراث، وقيل الورث والميراث في المال، والإرث في الحسب.[2]

وفي ذلك يقول خليل الجر في معجمه: "الورث والإرث والتراث، ما ورث ووُرث وِرْثاً وإِرْثاً وإِرْثةً، ورثه تراثاً فلاناً، انتقل إليه مال فلان بعد وفاته، ورث المال ووجد عند فلان، صار مال فلان ومجده إليه".[3]

ويعرِّفه البستاني في (محيط المحيط) بأنَّه: التراث الإرث وأصله الوُراث.[4]

وجاء في معجم الوسيط الإرث هو: بقية الشيء، وهو الأمر القديم توارثه الآخر عن الأول.[5]

وبذلك نجد أنَّ كلمة(تراث) قد وردت في معظم المعاجم العربية بمعنى الإرث، وهو ما يخلِّفه الميت من مال فيورث عنه، موافقاً لما ورد في القرآن الكريم.

أمَّا في السنة فقد وردت دلالةٌ في إطلاق الإرث على التقاليد المتوارثة، فقد بعث الرسول –عليه السلام– ابن مربع الأنصاري إلى أهل عرفة ليقول لهم: "اثبتوا على مشاعركم هذه، فإنَّكم على إرث من إبراهيم[6]، إشارة إلى أنَّ مناسك الحج وشعائره هي من تراث نبي الله إبراهيم–عليه السلام– وكذلك الحديث الوارد عن أبي الدرداء عن الرسول– عليه السلام– أنَّه قال: "إنَّ الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنَّما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر".[7]

وورد في الشعر العربي هذا المفهوم المعنوي للتراث، حيث ورد على لسان الشاعر عمرو بن كلثوم[8] في معلَّقته قوله:

ورثنا المجد قد علمت معد نطاعن دونـه حتى يبينـا

ورثت مهلهلا والخير منه زهيرا نعم ذخر الذاخرينا[9]

وتستمر اللفظة في التطوَّر والتوسُّع إلى أنْ نصل إلى الزبيدي المتأخر عن سابقيه من أصحاب المعاجم فيجعل من دلالتها المنقول عن العرب ممَّا يفخر به.[10]

وعلى كلٍ وتبعاً للتطور الزمني والحضاري الذي لحق بالمعاني أصبحت الكلمة أكثر عموماً لتشمل كل ما ورثه الآخر من الأول سواء كان علماً أو أدباً أو أي علومٍ أخرى.

2– **التراث اصطلاحاً:** هو "ما تراكم خلال الأزمنة من تقاليد وعادات وتجارب وخبرات وفنون وعلوم في شعب من الشعوب، وهو جزءٌ أساسي من قوامه الاجتماعي والإنساني والسياسي والتاريخي والخلقي، يوثق علائقه بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا التراث وإغنائه".[11]

أمَّا حسن حنفي فيرى بأنَّه: كل ما وصل إلينا داخل الحضارة السائدة[12].أي ما توارثناه خلال الحقب الغابرة من موروث قولي ممارس أو مكتوب.

كما عرَّفه جابر عصفور بأنَّه كل ما ورثناه تاريخياً عن أسلافنا الذين هم الأمة البشرية التي نحن امتداد لها، فالتراث ميراث إنساني لجهد بشري خلفَّه الذين أورثونا إياه.[13]

وصلاح عبد الصبور يقول بأنَّ: "التراث يعني جذور الفنان الممتدة في الأرض، والفنان الذي لا يعرف تراثه يقف معلَّقاً بين السماء والأرض، فالتراث هو ما يجد فيه غذاء روحه ونبع إلهامه.[14]

وأيضاً الجابري يقول فيه: "بأنَّه الموروث الثقافي والفكر الديني والأدبي والفني، وهو المضمون الذي تحمله هذه الكلمة داخل خطابنا العربي المعاصر، أي التركة الفكرية والروحية التي تجمع بينهم لتجعل منهم خلفاً لسلف".[15]

ووفقاً لما تقدَّم من مفاهيم حول التراث فهو لا ينظر إليه بوصفه نصوصاً محدَّدةً، أو تقاليد وعاداتٍ أو قصصٍ، بل نظام كامل للحياة تأسَّس عبر تراكم طويل، وهو في النهاية يعد نتاجاً ثقافياً اجتماعياً اتفق عليه جميع الدارسين العرب والذين يرون بأنَّ المفهوم العام للتراث "يعني كل ما يرثه الخلف عن السلف".[16]

ثانياً: علاقة الشاعر بالتراث.

إنَّ علاقة الشاعر بموروثه علاقةً قديمةً قدم الشعر ذاته، ورغم اختلافها من عصرٍ إلى عصر آخر فلن تنقطع أبداً، حيث لم يكتف الشاعر العربي في أي عصرٍ من العصور عن استرفاد تراثه، واستلهامه في شعره "فقد وظَّف معطياته واستخدمها استخداماً فنياً وإيحائياً، ووظَّفها توظيفاً رمزياً، لحمل أبعاد الرؤية الشعرية المعاصرة".[17]

فالتراث يعد أحد أهم مصادر الإلهام الرئيسية التي لا يفلت منها أديب، ومن الأسباب الرئيسية لعودة الشاعر إلى التراث، الواقع الذي يعيشه ويفرض عليه توظيف التراث لما تحمله تجاربه من مضامين، والسبب الثاني: التراث نفسه "فالشاعر والأديب حلقتان في سلسلة تاريخية مهما زاد شوقهما للتجديد وكسر التقاليد، لا يفلتان من الماضي الذي ترسَّبت آثاره في الأذهان، مهما طال الباع مع التجديد، لابد من العودة إلى التراث، والنهل من منابعه".[18]

إلا أنَّ استلهام التراث وتفجيره بمعان جديدة ومعاصرة، يحتاج إلى شاعر موسوعي المعرفة، وعميق الفهم، حتى يصل إلى مستوى التفجير، ولا يكون شعره استغراقاً في

الماضي لأنَّه لن يقدِّم حلولاً للمشاكل المعاصرة، ولكن تفجير التراث "هو من يولد لنا لحظة وعي بالتراث متصلة غير منقطعة في سيرورة ما بين الحاضر والماضي، ففي الأساس أنَّ الهدف من استلهام التراث هو التفاعل معه، وربطه لهموم الشاعر وعصره، حيث تتحقَّق الأصالة والعاصرة في النتاج الأدبي".[19]

وقد استطاع الشعراء بلجوئهم إلى التراث أنْ يفصحوا ويصرِّحوا بما جاشت به نفوسهم تجاه واقعهم بجميع جوانبه.

من هنا جاءت العلاقة بين الشاعر والتراث علاقة قائمة على تبادل العطاء، يأخذ الشاعر من تراثه ويعطيه، "وبذلك تغني التجربة الشعرية والتراث بتوظيف الشاعرية إذ يثري عناصره ويفجِّر طاقاته التعبيرية".[20]

إنَّ تراثنا الشعري هو الذي يجعل شاعرنا المعاصر"صاحب نظرة ومنهج في تذوُّق الشعر وفهمه، فالشاعر ينمو أساساً من التراث، والشاعر يحمل تراثه الشعري في باطنه، ومن هذا التراث الشعري يكون انطلاقه، ويكون فهمه وتقديره لدور الشعر".[21]

وهو ما يبيِّن "أنَّ آليات تشكيل القصيدة المعاصرة لا يمكنها أنْ تتحقَّق إبداعياً إلا بعد أنْ

يحدِّد الشاعر موقفه من الموروث أولاً، وعلاقة هذا الموروث بالقصيدة في مرحلة ثانية"[22]؛

لأنَّ الشعر ينمو داخل التراث الشعري، والحوار الذي يدور في نفس الشاعر هو حوار بين تراثه الشعري، وبين العالم.

من هنا فقد كانت عودة الشاعر الليبي المعاصر إلى التراث ضرورية، لا تقوم على أساس المتابعة والتقليد، ولا تدعوا إلى المقاطعة والإهمال، وإنَّما تستلهم ذلك التراث في نتاجات أدبية متميزة تجمع بين الأصالة والمعاصرة، وتمد أواصر الماضي في الحاضر، وتوجِّهها نحو المستقبل.

وبموجب هذا الاستلهام وهذه المثاقفة تحوَّل النص الشعري إلى متن مفتوح على مختلف القراءات في ارتباطها بمختلف الأزمنة والأمكنة.

وصدق عبد الصبور حين قال: "التراث هو جذور الفنان الممتدة في الأرض، والفنان الذي لا يعرف تراثه يقف معلَّقاً بين الأرض والسماء، التراث عنده هو ما يجد فيه غذاء روحه، ونبع إلهامه وما يتأثره أو يتأثر به من النماذج، فهو مطالب بالاختيار دائما، مطالب بأنْ يجد له سلسلة من الأدباء والأجداد من أسرة الشعر"[23]

لذلك فقد وجد الشاعر الليبي المعاصر نفسه أمام علاقة ضرورية، وهي أنْ يثاقف التراث من أجل المحافظة على أصالته وأصالة شعره، ويثبت تميُّزه في تجربته المعاصرة.

ثالثاً: الشخصية التراثية:

كلمة (الشخصية) كلمة عربية مشتقة من كلمة الشخص المأخوذ من الجذر اللغوي العربي (ش.خ.ص) ورد في لسان العرب أنَّ الشخص "جماعة شخص الإنسان وغيره، مذكَّر، والجمع أشخاص وشخوص"[24]

ووردت عند ابن فارس على النحو الآتي: (شخص) أصل واحد يدل على ارتفاع في شيء، من ذلك الشخص، وهو سواد الإنسان، إذا سما لك من بَعْدُ ثم يحمل على ذلك، فيقال شخص من بلد إلى بلد، وذلك قياسه أُشخص الرامي إذا جاز سهمه الغرض من أعلاه، وهو سهم شاخص.[25]

والشخصية في معناها اللغوي مرتبطة بالنسبة إلى الشخص فهو (شخصي) وهي (شخصية).

ومن خلال ما تقُدم يتبيَّن أنَّ مصطلح الشخصية حديث النشأة، فلم يرد في المعاجم العربية والقرآن الكريم سوى بلفظة(شخص)، والذي يقصد الإنسان أو ما يتعلَّق به من أفعال وحواس كالرؤية وتشخيص البصر.

أمَّا من الناحية الأدبية فالمتتبع للتراث يجد أنَّ للشخصية مكاناً أساسياً على المستوى الفني، ممَّا جعلها تشغل حيزاً ومكانةً مرموقةً في الأعمال الأدبية؛ لأنَّها تلعب دوراً في

إبراز المضمون، وعادة ما تمثِّل رمزاً ملائماً يتيح للكاتب إنتاج دلالات جديدة تلائم مختلف العصور، ويمكن أنْ تتخذ كشاهد ندين به ما يعتري عصرنا من أخطاء.

وإذا كانت الشخصية التراثية تنتمي إلى (فئة الشخصيات المرجعية) فمهمة المبدع حين يستلهمها داخل العمل الشعري هي "أنْ يظهرها بصفتها شخصية تمثِّل أحد العناصر الفنية في عمله، ومن ثم نقلها من إطارها التراثي لتمثل أنموذجاً بشرياً عاماً".[26]

وقد عرّفها علي عشري بأنَّها: "تُمثل جميع الشخصيات التي لها وجودها الحقيقي التراثي، مثل شخصيات الأدباء وغيرها من الشخصيات ذوات الوجود التاريخي".[27]

كما أنَّ الشخصية التراثية الأدبية تُعدُّ شخصيةً تاريخية باعتبار ما، فقد كان لها وجودها التاريخي، إلا أنَّها إلى جانب هذا الوجود التاريخي تتميَّز بهوية الأدب عن سائر الشخصيات التراثية الأخرى، لأنَّ السمة التاريخية تعني كل "ما يرتبط بالماضي زمنياً أو دلالياً، فالمرتبط زمنياً أصبح جزءاً متحققاً من التاريخ، والمرتبط دلالياً يستمد مواصفاته من الذاكرة التاريخية، وبهذا فكافة الشخصيات الدينية والأسطورية، والأدبية، والفلكلورية، تنسحب عليها صفة التاريخية"[28]

عليه فتوظيف الشخصية التراثية في الأعمال الأدبية يكمن في أنَّها "تجاوزت زمنها لتعيش في زمن الأعمال المكتوبة اليوم، وتتفاعل بالتالي مع شخصية حديثة لترفد فكرتي التلازم والمعاصرة بين شخصيات ذوات انتماءات زمنية مختلفة".[29]

رابعاً: أنواع الشخصيات التراثية:

ويمكن أنْ نصنِّف الشخصيات التي استخدمها شعراؤنا الليبيون المعاصرون من الموروث إلى شخصيات الأنبياء، وشخصيات مقدَّسة، وشخصيات منبوذة. وفيما يلي بيان وتفصيل ذلك:

1- شخصية الأنبياء-عليهم السلام-: أحس الشعراء بعلاقتهم الوطيدة مع الأنبياء لأنَّهم شعروا بأنَّ فيهم ما يصبون لتحقيقه في الحث غلى الاستقامة والإرشاد نحو سير أفضل، وقد أكثر الشعراء الليبيون من ترديد أسماء الأنبياء-عليهم السلام- وذلك لما

وجدوا في سيرهم العطرة من عذاب وألم وظلم قومهم وعشيرتهم وإنكارهم وتجاهلهم لما يدعون إليه من سماحة، فكل من النبي والشاعر الأصيل يحمل رسالة إلى أمته، والفارق بينهما أنَّ رسالة النبي سماوية، وكل منهما يتحمَّل العنت والعذاب في سبيل رسالته. وتبعاً لذلك اتجه الشعراء الليبيون إلى توظيف شخصيات الرسل؛ ليعبِّروا من خلالها عن أبعاد تجاربهم المعاصرة[30]

فالشاعر عبد المجيد القمودي[31] في قصيدته(أنا والحرف والرقيعي) يستحضر شخصية النبي (محمد)– عليه السلام– لتكون منقذة لقومه الذين استسلموا للعنف والهوان، فيقول:

يا حمامة
ناشدي السمح الذي في الغار
أنْ يخرج كي ينقذنا ممَّا نعاني
قبل أنْ يدركنا يوم القيامة[32]

تكمن رمزية المصطفى –عليه السلام– في أنَّ سِمات الخلاص لهذه الأمة تكمن في كشف الغمّة عنها، فالشاعر حين استدعى شخصية الرسول–عليه السلام– كأنَّما استدعى جيشاً جرَّاراً قادراً أنْ يخلِّص الأمة من حالة الذل التي تحياها، وهو بهذا الاستلهام قد وفِّق في أنْ يعثر في ملامح شخصية الرسول –عليه السلام– ما يتلاءم والدلالة المعاصرة التي أسقطها عليها.

ويوظِّف الشاعر إدريس الطيب[33] قصة يوسف–عليه السلام– توظيفاً جميلاً في قصيدته (تخطيطات على رأس الشاعر)، فيقول:

ابنك– يا يعقوب– لم تعشقه، لم تسجنه
امرأة العزيز
بل شرطة المباحث
فكل أفراد قبيلتي مباحث

السجن مثل البيع، لا خيار
لكنه رآك في المنام تزن الرصاص للرجال
رؤياه لم تخب من قبل، لم تلامس المحال...
يوسف–يا يعقوب– لم تفتك به الذئاب
لم يمت...
يهديكم السلام[34]

وهو بهذا التوظيف لهذه الشخصية التي تمثِّل رمز النضال والثورية استطاع أنْ يبيِّن موقفه من السلطة التي تطارده بجلاَّديها وسلَّطت عليه أجهزتها محاولاً استنهاض واقعه المؤلم من سطوة مثل هؤلاء الحكام المتجبرين.

والشاعر محمد المزوغي[35] هو الآخر في شعره كثير من التوظيف لهذه الشخصيات، حيث يقول في قصيدة (يونس والحوت):

حشدوا لقتل الياسمين جيوشهم
من قال أنَّ الياسمين يموت؟
ذبحوا المحبة باسمها
وتجبروا
أنا إنْ سكت
فإنَّ صمتي ناطق
وكلام من زعموا الكلام سكوت
فلتعذريني إذا رحلت مغاضبا
بَرِماً بهم
ومشى بي التابوت
فلربما أصبحوا على يقطينة
إني وحزني يونس والحوت[36]

استطاع الشاعر أنْ يوظِّف قصة نبي الله يونس–عليه السلام– برحيله عن وطنه مغاضباً من هذا الواقع الذي يعيش فيه، ويقدِّم اعتذاره من بلده التي يغادرها كرهاً؛ ليمش به التابوت إلى روضة من رياضها، فكما سكن يونس مضطراً في بطن الحوت بعد رحيله عن قومه، سكن الشاعر في حزنه بعد ما آثر الرحيل صمتاً عن بلده التي يخذلها من يدَّعون حبها.

والشاعر عبد الحميد بطاو [37] هو الآخر يوظِّف شخصية نبي الله سليمان –عليه السلام– في قصيدته (عرش الموت) بما تحويه من دلالات وإيحاءات، فيقول:

مات على الكرسي
كما قد مات فوق عرشه
سليمان النبي
وكان صاحبي
لا يملك القصور والتماثيل
ولم يكن له أعوان
من مردة أو جان
يرد عنه هول ما يأتي به الزمان[38]

لقد حاول الشاعر خلال هذا الاستدعاء أنْ يبيّن حقيقة تساوي البشر في النهاية، فسليمان الذي أعطاه الله ملكاً لم يعطه لأحد غيره، وأخضع له كل شيء، بالرغم من ذلك فقد مات ميتة صديقه الذي لا يملك شيئاً ومات مقهوراً من الظلم والغبن دون أنْ يتنازل عن مبادئه.

2– الشخصيات المقدَّسة:

تحتل الشخصيات المقدَّسة مجالاً واسعاً عند الشعراء الليبيين، حيث وظَّفوها في قصائدهم واستخدموها كرمز للتعبير عن آلامهم وتجاربهم المرَّة، ومن بين هذه الشخصيات نجد:

شخصية مريم –عليها السلام– التي اتخذت رمزاً للعفة والطهارة والتسليم لأوامر الله – عزَّ وجلَّ– دون شك أو ريب. والشاعر عبد الحميد بطاو يقول في قصيدته (مخاض):

هزي إليك جذع النخلة الفرعاء
ما استطعت واصرخي
بصوتك المفجوع
في الجفاء والخواء
فلن تفجر الأرض الينابيع
ولن تنزل السماء ماء
وسوف تنجبين في الخلاء
بعد المخاض التوجع المرير
خلقة شوهاء
وليس من عزاء[39]

فالشاعر بهذا التوظيف لهذه الشخصية يرمز للأمة العربية التي طال طمثها وطالت مرحلة مخاضها دون نتيجة تذكر، وقد ظهرت براعته في التنبؤ بالثورات العربية، وكيف انحرفت عن مسارها في بعض البلاد لتصبح البلاد العربية يعمها الغموض والاضطرابات بفعل الأحداث الداخلية والخارجية حتى تكون هذه الثورات خلقة مشوَّهة للحرية، والتغيير بفعل هذه التدخُّلات.

3– الشخصيات المنبوذة:

يقصد بها تلك الشخصيات التي ارتكبت ذنوباً ومعاصي، واقترفت الآثام، واستحقَّت العقاب على أفعالها، ومن بين هذه الشخصيات نجد: **شخصية يهوذا**[40]: وهي شخصية دينية من أتباع عيسى–عليه السلام– اشتهرت بالخيانة والتآمر عليه، وقد استطاع الشاعر لطفي عبد اللطيف[41] أنْ يوظِّفها من خلال رؤاه وتجربته مع واقعه، فيقول:

يهوذا

يا مريم السوداء، يا ممتصت الضلوع
يا مخدع التوائم المخدوع
يا نهد الرعب يا فراش من لم يفترش
من في غد يخشى بوجه الحاكم "النمش"[42]
فلتقطعي ثدييك دون خصبك الغبي
ليبعث النبي
بدون أنْ يدفعه لحتفه يهوذا[43]

والشاعر خلال هذه الأبيات يوظِّف شخصية يهوذا الجديد التي تمثِّل الاستعمار بماضيه من غدر وخيانة، وهو الذي يحارب الثورة ويدفع بالثوار إلى موارد الموت، وهو بهذا التوظيف يمثِّل الرفض لهذا الواقع ويدعو للتمرد والانحياز إلى المقهورين ومقاومة الاستبداد السلطوي.

والشاعر الفزاني يوظِّف أيضا شخصية (قابيل وهابيل) توظيفاً رائعاً يلفت الانتباه، فقد وجد فيهما ما يكشف عن المعاناة والمأساة لكل قضية من القضايا المحورية في هذا القرن "لأنَّ علاقة هذين الشخصين علاقة سلبية، لأنَّها تصدِّر أول جريمة وقعت على وجه الأرض، والتي مهَّدت السبل إلى الجرائم كلها ماضياً وحاضراً"[44]، فيقول في قصيدته (قابيل):

قابيل قتل رجلا واحدا فقط
من أجل المرأة الوحيدة في العالم
قابيل وارى جثة أخيه
في قبر دافئ
في القرن العشرين الدموي
يقتل الطاغية الواحد
ألف إنسان في ساعة واحدة

يقطعهم أشلاء
يمزقهم إربا إربا
يحرقهم[45]

استطاع الشاعر بهذا التشخيص أنْ يكتسب من هذه الدلالة دلالات وأبعاد معاصرة، وكأنَّه نقل القضية القديمة في الموروث الديني إلى قضية محورية معاصرة، وهي قضية الشعوب المظلومة من قبل الدول الطاغية في القرن العشرين، حيث نلمس ذلك في الجريمة التي ارتكبتها أمريكا في حق اليابان، وكذلك ما حدث بالعراق، وما يشاهد اليوم في فلسطين، فرمز (قابيل) عند الشاعر لا يقف عند ابن آدم الذي نعرفه، ولكن يتعداه إلى قابيل العصر الذي امتهن حرفة القتل، وسلَّط كل ما يملك من وسائل الدمار لقتل الحريات، فهو استلهم هذه الشخصية ليبيّن حقيقة المستعمر الذي عاث في الأرض فساداً.

ومن تلك الشخصيات كذلك شخصية **(الحلاَّج)**، وهي من الشخصيات الرمزية الصوفية التي تعد عند الشعراء رمزاً للمتهم البريء، والمناضل الحر، وحقيقة الأمر فقد حظيت هذه الشخصية باهتمام لدى الشعراء وفيها يقول (بطاو) في قصيدة (مدخل نحو الآتي):

يهاجر الحلاج في خواطري
كنغمة من النشاز
في معزوفة الأرق
يداهم الحجاج فكرتي
فلا أخاف غير أنني يشلني القلق
أكتب ما أكتبه في لحظات الصحو
ثم فجأة أهم أن أمزق الورق
عفوا لعلني نزقْ[46]

إنَّ استحضار الشاعر هذه الشخصية الصوفية يؤكد الحقيقة المتمرِّدة لكلٍ من الشاعر والمتصوِّف على واقعهما، فالمتصوِّف إذ يعزف عن الواقع اليومي، فهو كالشاعر الضجر من واقعه، لكن ورغم ذلك فحضور رمز الحلاَّج في النص يبقي الذات الشاعرة متأرجحة في طموحها بين رغبة معانقة لرمز الحلاَّج الثائر، والخضوع لسيف الحجاَّج المتربِّص.

وعند الشاعر جيلاني طريبشان[47] فالحلاَّج هو تلك الشخصية الثائرة التي تواجه جور السلطان، وتهزأ بجبروته، فيقول:

حلاج آخر يتجاسر
يهتف في غبش الظلمات
يكتب فوقك يا نعش السلطان الفاجر
لا تسكب سمك في العسل[48]

والشاعر باستحضاره لهذه الشخصية التراثية كأنَّه أراد أنْ يشحذ الهمم، ويبيِّن أنَّ الثوار هم نسل الحلاَّج الذين يظهرون في كل عصر؛ ليعطوا المثل في التضحية والفداء، ويعمِّدون ثورتهم بالدم والشهادة.

خامساً: الشخصيات التاريخية:

لقد وظَّف الشعراء الليبيون التراث التاريخي في بنية لغتهم، فاستدعوا لهذا الغرض شخصيات تاريخية وقضايا سياسية تاريخية في نصوصهم، حيث ارتبطت بمواقف معيَّنة حدثت في الماضي، فاشتهرت بها على مر العصور، ولا شك في أنَّ توظيفها يعد "إعادة ذلك الماضي بوجه جديد من خلال رؤية ذاتية جديدة تستوعبه، وتفكِّكه ثم تصوغه بأسلوب فني يجعله جزءاً من بناء النص الجديد، ويدخل في صميم نسيجه اللغوي والفكري والعاطفي، وبذلك يصبح النص الجديد فيه عبق التاريخ، وواقع الحاضر، وطموح المستقبل، ولا يفهم إلا من خلال هذه العناصر الثلاثة"[49].

ويتطلَّب توظيف التراث التاريخي من المبدع اطلاعاً واسعاً، ودراية دقيقةً بالأحداث التاريخية والتعمق فيها، إضافة إلى التمكُّن من فنون اللغة؛ حتى يتمكَّن من وضع ما

أخذه منه بطريقة طبيعية في القصيدة، فالمتلقي لا ينتبه كثيراً إلى أهمية مثل هذا التوظيف إلا إذا كان ملماً مطلعاً عليه من قبل.

وهذه الشخصيات تحتاج إلي توظيف جيد لأنَّه لا يجب أنْ يتم فرض هذه الرموز على النص، "بل يجب أنْ تكون هناك علاقة عضوية بينها وبين القصيدة، بشكل يجعل المتتبِّع يحس بأنَّ الحاجة إلى ذلك الرمز نابعة من داخل الموقف الشعري ذاته"[50]

والشخصيات التاريخية التي استثمرها الشاعر الليبي تندرج في مجاميعهم الشعرية تحت نوعين، وهما:

1- أبطال الثورات والدعوات النبيلة والخلفاء والأمراء. وهم الذين يمثِّلون الوجه المضيء لتاريخنا، سواء بما حقَّقوه من انتصارات وفتوحات، أو بما أرسوه من دعائم العدل والديمقراطية، ولعل أبرزها شخصية **(الحسين بن علي بن طالب)** – رضي الله عنه– حيث يرى الشاعر جيلاني طريبشان في الحسين رمزاً لصاحب القضية النبيلة الذي يظل حياً يتجدَّد في ذات كل بطل شريف، ورمزاً للمبادئ الخالدة، فيقول:

البغاء الأحمق اللعين
بالأمس كان في العراق يتابع الحسين
ويلعق اليوم هنا دم الحسين
لكنما التاريخ والفصول
تقول:
المجد للشعوب حين ترفع الجبين[51]

لقد أعطى الشاعر خلال استدعاءه لشخصية الحسين دور الثائر الذي تطارده السلطة وتجند أدواتها لملاحقته كي تسكت في صوته صوت الثورة طريق الشعوب إلى الكرامة.

كما وفق الشاعر(عبد الحميد بطاو) في توظيفه لشخصية الحسين–رضي الله عنه– داخل نتاجه الشعري، حيث يقول في قصيدة (أشجان في حضرة النهر):

أحس الآن بكربلاء

في زمن مضى
أو ربما يجئ أو في هذه الأثناء
جند الحسين أو يزيد لا تهم هذه الأسماء
أرى السيوف والرماح قد غدت بنادق[52]

فهو يرى كربلاء مازالت مستمرة في صراعها؛ لأنَّ باستشهاد الحسين في المعركة خلَّف جرحاً لا يندمل في التاريخ، فالحسين كل يوم يقتل في شخص كل مناضل حر شريف يرفض الخضوع والاستسلام للطغاة والظالمين، وقد راهن الشاعر على هذه الشخصية التاريخية بما توفِّره من فضاء للتداخل بين الماضي والحاضر، وبما توفِّره أيضاً من دلالات تحمل عبق الماضي، وقد تدين الحاضر، وتتوجَّس من تكرارها ثانية.

ومن الشخصيات كذلك شخصية **(صلاح الدين الأيوبي)** التي ارتبطت في الأذهان بالتحرُّر والانتصار، ووجد فيها الشعراء الملاذ والنخوة واسقطوا عليها حالتهم النفسية التي ترزح تحت وطأة الهزيمة والاغتصاب، يقول الشاعر لطفي عبد اللطيف:

صلاح الدين مات
جمال الدين مات
يا حبَّذا لو من جديد توأد البنات[53]

يوظف الشاعر شخصية صلاح الدين الأيوبي ليوضِّح من خلالها أنَّ مشعل التضحية والفداء والجهاد قد انطفأ في هذا العصر الذي وئدت فيه البنات.

ومنها شخصية **(طارق بن زياد)** تلك الشخصية الإسلامية التي اشتهرت بالشجاعة، ولها تاريخ حافل بالبطولات، وقد وظَّفها الشاعر عبد الباسط الدلال[54] ليستعين به على حال ووضع أمته المتردي، حيث يقول:

إيه يا طارق... يا رب الفتوحات العظيمة
نحن أحفادك وغفرانك...ما عدنا صقوراً
نزرع الآفاق أمجاداً وزهورا

فبحق الفتح والتاريخ...لا تشفق علينا
نحن أولى بالهزيمة...منذ أمرنا على الجيش "مُشيرا"
يقتل الليل على أنّاتِ..."وردة"
وبأنفاس"رجيلة" إيهٍ طارق[55]

يرى الشاعر أنَّ في الهزيمة عقاباً للأمة تستحقه؛ لأنَّها فرَّطت في أمجادها، ووَّلت أمورها من ليس أهلا للولاية، وقد استحضر هذه الشخصية الثائرة ليستنجد بها ممَّا حصل للعرب من نكسة وذل، لأنَّه يرى أنَّ سبب ذلك هم القادة الذين ليسوا قادرين، وهو ما جعله يستصرخ طارق لتخليص الأمة مما آلت إليه.

ومنها شخصية **(المعتصم بالله الأمير العباسي)، صلاح الدين الأيوبي** [56]، إنَّ التفاعل مع هذه الشخصية الغرض منه هو نقل السامع إلى زمن البطولات العربية، قاصداً الشاعر من وراء ذلك منفعة نفسية، لأنَّه يرى أنَّ معالجة قضايانا العربية وما يتطلَّبه مجتمعنا في ثوب جديد لتذكيرهم بأمجادهم السالفة حتى تنهض الهمم، وتثور الشعوب المغلوبة على أمرها، لعل ذلك يبعث فيهم الأمل بأنَّ النصر قادم، فيقول الشاعر عبد المولى البغدادي[57]:

أين أشبال الحمى... أين أسوده؟
أين (وامعتصماه)؟ والذي نحن جنوده
يا صلاح الدين والدنيا !!! ولو دوى نشيده
لاستفاق المارد الجبار وانفكت قيوده
واستعيد الحرم القدسي، وارتدت يهوده[58]

يوظِّف الشاعر شخصيتين لهما دور بارز في التاريخ، وتمتلكان صفات الشجاعة والمواجهة في تحقيق ما يصبو إليه أبناء الأمة ألا وهو النصر في محاولة منه لربط الماضي بالحاضر من

خلال الاشتراك في المواقف أو الأماكن، جاعلاً منهما نقطة تحوُّل لحياة أرغد وعيش أطيب، ممَّا يبيِّن أنَّه استطاع بهذا الاختيار رسم ظلالات إيحائية على هاتين الشخصيتين، ويضفي على شعريته أبعاداً فنيةً وسياسيةً ساعدته في استحضار هذه الصورة الجميلة.

وكذلك شخصية **(عمر المختار)** هذه الشخصية الجهادية التاريخية التي استدعاها الشعراء الليبيون ليدعموا بها تجاربهم الشعرية ويمنحوها القوة التأثيرية في المتلقِّي؛ لأنَّها ترمز للنضال الطويل ضد الطليان، فلا تذكر ليبيا إلا ويذكر معها هذا البطل، يقول خالد زغبية[59] في قصيدة (أغنية الميلاد):

شرعت كتائبها المجيدة في
النضال
بقيادة المختار تحصد بالرصاص
المعتدين
ترمي بهم أشلاء، دامية النثار
وتبدد الأطماع اللصوص
كالريح إذا تذروا الرمال[60]

لقد استطاع الشاعر أنْ يستلهم هذه الشخصية ليعبِّر بها عن واقعه البائس، والقابع تحت وطأة الاستعمار، فوجد فيها أداته في التعبير ليشحذ النفوس لطرد المستعمر، كما استطاع بهذا التشخيص "أنْ يحافظ على حدود العلاقة الثنائية التي يقيمها مع هذا الرمز الحقيقي الذي تذوب فيه العلاقة ذات البعدين أو أكثر من وحدة دلالية احتمالية، تنفجر إيحاءاً متجدِّداً، وظلالاً كثيفةً"[61].

2- شخصيات رموز السلطة: تمثل في شخصيات الجبروت والقمع. ومن أبرزها شخصية **(الحجَّاج):** فالشاعر السنوسي حبيب[62] وجد في هذه الشخصية ميداناً فسيحاً لاستيعاب تجربته الشعرية فاتخذها وسيلة لإيصال فكرته، حيث يقول:

تتلألأ ثمرة سيف الحجاج
تتصلب أعراق الرقبة والرأس
ترتعش الركب.. الأقدام.. الأقلام
ينكمش صداح الكلمات
همسا
وشوشة
صمتا
موتا(63)

وقد وفِّق الشاعر في توظيف شخصية الحجَّاج التي تعد رمزاً للبطش والاستبداد والطغيان، وتسلُّط الحاكم، لأنَّه أطاح بكل رأس حاول أنْ يرتفع في وجه جبروته وطغيانه، وعمل على قمع الحق بالقوة.

ومنها شخصية **(يزيد بن معاوية)** إحدى الشخصيات التي ترمز للبطش والسلطة المستبدة، وقد وظَّفها شعراؤنا في التعبير عن تجاربهم وما تقاسيه شعوبهم وأوطانهم من ظلم واضطهاد السلطة، فيقول عبد الحميد بطاو في قصيدة (كوابيس كربلائية):

حدقت بقاع الكأس البلورية
فاجأني وجه" يزيد"
يساكب من عينيه الدمع
ومن كفيه الدم
النازف من رأس ابن علي(64)

يستثمر الشاعر النص في تعميق التفاعل بدلالات ترفع القناع عن الوجه المستبد والقاتل المتغلغل في ثنايا المجتمع من خلال هذه الصورة القاتمة التي استحضر فيها حقيقة يزيد، ممَّا يؤكد أنَّ تداخل القمع والاستشهاد في النص يؤكد حتمية وضرورة التضحية رغم كل القيود من أجل تحقيق غد أفضل.

وشخصية **(جنكيزخان)** والشاعر علي الرقيعي[65] هو الآخر قد لجأ إلى هذه الشخصية التي وصفت بالبربرية المعادية للسلام؛ ليعبِّر بها عن واقعه، فيقول في قصيدة (جنكيزخان):

لا لم يمت ما زال في أرض الخلاعة والبناء
لص خسيس
مترهل الشدقين مسود الضمير
عيناه فوهتان من لون الدماء
عيناه من نجل الجراح
من أنه المطعون تجلده الجراح[66]

استطاع الشاعر بهذا التوظيف أنْ يتخطَّى بملامح هذه الشخصية المستدعاة فارق الزمن كي يلقي من خلالها بدلالات معاصرة ليوضِّح حقيقة القوى البربرية المعادية للحياة والسلام في الحاضر، وهو الاستعمار الغربي المتمثِّل في جنكيزخان الحاضر.

سادساً: شخصيات التراث الأدبي:

من الطبيعي أنْ تكون شخصيات الشعراء في هذا الجانب من بين الشخصيات الأقرب والألصق بنفوس الشعراء ووجدانهم لأنَّها هي التي عانت التجربة الشعرية ومارست التعبير عنها "كانت هي ضمير عصرها وصوته، الأمر الذي أكسبها قدرة خاصة على التعبير عن تجربة الشاعر في كل عصر، فلا غرابة إذن أنْ تكون شخصيات الشعراء في شعرنا المعاصر وفي ذات الوقت أكثرها طواعية للشاعر المعاصر وقدرته على استيعاب أبعاد تجربته المختلفة"[67].

وشعراؤنا الليبيون كغيرهم من الشعراء العرب عملوا على استدعاء الموروث الأدبي بما يخدم نصهم وإبانة ما تجيش به أنفسهم الملتهبة والقلقة على أوضاعهم وأوضاع مجتمعهم، لأنَّه الأقرب إلى نفوسهم في العصر الحاضر، ويلامس اهتماماتهم ووجدانهم، ويعد منبعاً غنياً يرفد الناهلين بتجارب حية من التراث الإنساني على مر العصور

والأزمات، وأنَّ ميزة هذا المستوى في التوظيف عن سائر المستويات السابقة "تتضح في أنَّه على الرغم من ارتباط الشخصيات التراثية بتجارب نمطية عبر التاريخ، فإن قيمتها حين يستخدمها الشاعر المعاصر تكمن في التجربة ذاتها حين تصبح رموزا حية على الدوام"[68].

وليس غريباً إذاً أنْ نجد الشاعر الليبي يفسح المجال في قصائده للمعطيات التراثية الأدبية التي تتجاوب معه، حيث من الملحوظ أنَّ هناك عدَّة شخصيات حظيت لدى الشعراء بالقدر الأعظم من الاهتمام، ودليل ذلك ما ورد عند الشاعر خالد زغبية في ديوانه (غداً سيقبل الربيع):

أبو العلاء لم يزل ملتزما محرابه
يتلو رسالة الغفران...
وزاده بضع تمرات، وجرة من العسل...
يرفض أنْ يساوم...
يرفض أنْ يهان...
يرفض أنْ يبيع ماء وجهك للملك
النعمان...
بحفنة من النضار...
وسقط الزند[69] في يديه يقدح الشرار...
يندلع اللهيب في الهشيم
وهذه الأرض البوار...
ماذا جنت يداه...
لكنما هذا جناه [70]

وهو بهذا التوظيف لشخصية الشاعر إنَّما أراد أنْ يوضِّح صورة واقعه وبالأخص وضع الجانب الفكري بوصفه لصيقا بالشخصية المستدعاة، والقصد منه هو إدانة للحياة الفكرية العربية التي تعتمد على الزيف والتدجيل وإخفاء الحقائق.

وفي أبيات أخرى للشاعر نفسه يستدعي شخصية(المتنبي) ليعبِّر من خلالها على واقع السلطة، وما يعانيه صاحب الكلمة من ضغوط ومطاردات، فيقول:

المتنبي يمتطي جواده الأصيل..
ممتشقا حسامه البتار...
رأيته يعبر هذه الليالي والبيداء والأخطار
يجتاز خط النار...
في خرجه قرطاس، وحفنة من تمر...
كأنها من جمر...
وعصبة الشعارير [71] التي وشت به...
أغرت به حفيظة السلطان
وزمرة المزورين والأشرار
ما بلغت مداه في النقاء...
أو نالت المنى... [72]

استلهم الشاعر شخصية المتنبي ليعبر بها عن حالة معاصرة وهو ما عبر عنه على عشري زايد "بالتعبير بالتراث"[73] وصارت جزءاً مهماً وفاعلاً في قصيدته، وانصهرت هذه الشخصية في نسج التجربة، ولم تكن ملصقات لغرض الزينة، أي لم تكن تسجيلاً عن التراث، وإنَّما كانت استلهاماً واعياً، وصياغة جديدة، ممَّا يدل على قدرة الشاعر في توظيف شخصيات الموروث الأدبي توظيفاً إيجابياً كان منسجماً مع موقفه المعاصر وحالته الخاصة، وأكسب القصيدة أبعاداً ودلالات .

سابعاً: شخصيات التراث الأسطوري:

حظيت الأسطورة بمكانة عظيمة في أدبنا العربي، وقد توفرت في الشعر الجاهلي أيضاً، لكنَّها بالطبع كانت إشارات عابرة لا تمثِّل منهجاً في توظيف الأسطورة، أمَّا في أدبنا العربي المعاصر خاصة والعالمي عامة، فقد حظيت بمكانة عظيمة فيه "ويعتقد أنَّ الشعر ولد من الأسطورة، فالأساطير هي التي شكَّلت مصدر انبثاق الأدب تاريخياً، وذلك بسبب التوافق الكامل بين الشعر والأسطورة، وقد انتهى هذا التوافق والتكامل بينهما إلى توفر النتاج الشعري في أشكال ملحمية يستخدمها الكثير من الشعراء العظام"[74]، لذلك غدت الأسطورة في أدبنا المعاصر أنموذجاً مهماً من نماذج توظيف التراث؛ لأنَّ العلاقة التي تربطهما علاقة تقارب وتجانس في النشأة والوظيفة، ومن خلالهما عمل الشعراء والأدباء على دمج الأسطورة في شعرهم وأدبهم؛ لكي تكون بمثابة إنارة للقارئ، وذلك من خلال فتح الأبواب أمامه لتفهم الأسطورة وربطها بالواقع المعاش نظراً لما فيها من أهمية كبيرة، باعتبارها معادلاً موضوعياً يوازي ما يحدث في عصر الشاعر "حيث ظلت الأسطورة عوداً سخياً للشعراء في كل عصر، وفي كل بقعة يجسِّدون عن طريق معطياتهم الكثير من أفكارهم ومشاعرهم، مستغلين ما في لغة الأسطورة من طاقات إيحائية خارقة"[75].

وقد استقى شعراؤنا الليبيون رموزهم الأسطورية من منابع شتى وعالجوا موضوعات سياسية واجتماعية وواقعية عبَّروا خلالها عن البطولة والتجدُّد والانبعاث والتشبُّث بالأرض والوطن والهوية، ففي ديوان الطوفان آت يوظف الشاعر علي الفزاني أسطورة عشتار ليعبِّر من خلالها عن واقعه، فيقول:

آه ماذا ولدت عشتار[76]...مسخا...ألبسوها تاج كسرى

والهدايا من بساتين بلادي

والأغاني من مزامير الغزاة [77]

عمل الشاعر في هذه الأبيات على توظيف هذه الشخصية ليعبِّر بها عمَّا يدور حوله من اضطهاد وطمس، وقد استطاع توظيفها من رمز للخصب والنماء إلى مسخ يلفها،

محاولاً بذلك أنْ يبيّن الحقيقة للذين يحلمون بالخصب، وليس هناك ما يدل عليه، وأنَّ ما يبدوا واضحاً هو الضياع والموت الذي لم يعد إلا زيفاً ومسخاً.

وفي قصيدة (وذلك أضعف الإيمان) للشاعر عبد الحميد بطاو يستحضر شخصية (شمشون) [78] الأسطورية التي تميَّزت بالقوة الجسدية، فيقول:

كل هذا لديك
وها أنت تصمت حتى تدان
كل ظلم تُميل له الظهر
حتى يحط عليك
فتحمله بافتخار
لست أطلب منك الكثير
وأنْ تتحول شمشون هذا الزمان
ليس أكثر
من أنْ ترد كرامة وجهك
من صانعيه[79]

يتحدث الشاعر عن أولئك الذين باعوا أوطانهم بأرخص الأثمان، فاستحضر شمشون بصورته القوية الشجاعة من زمن مضى إلي الزمن الحاضر؛ كي يهدم كل الظلال الزائفة على رؤوس الخونة دون أنْ يساوم أو يتنازل عن مبادئه ووطنه.

ثامناً : شخصيات التراث الفلكلوري (الشعبي) (80):

يمثِّل التراث الشعبي رصيداً من العادات والمعتقدات، وكل ما يتصل بالحياة اليومية لدى شعب من الشعوب، وتمتلك الشعوب العربية عامة والشعب الليبي خاصة نصيباً كبيراً من ذلك الرصيد، ويظهر ذلك من خلال الاهتمام بذلك الموروث في جميع جوانب الحياة التي يعد الأدب أهمها، حيث اهتم الأدب وخاصة الشعر بالتراث الشعبي، وعمل على استدعاء حكاياته، ووظَّفها في بنية النص الأدبي، ممَّا يجعل القارئ العربي يتجه

وجهة ذلك التراث البعيد، وبذلك فقد اكتسب التراث الشعبي ميزة مهمة "لأنَّه تراث حي، وحين يلجأ إليه الشاعر لا يحس أنَّه مثقل بما في الماضي من خلافات ومشاكل؛ لأنَّ الجاذبية في التراث الشعبي تكمن في أنَّه يمثِّل جسراً ممتداً بين الشاعر والناس من حوله"[81]، ولعل السبب فيما يبدو لإقبال الشعراء الليبيين عليه هو كونه يسهم في إيقاظ الشعور القوي ويمنحه الحيوية والتجدد "وأنَّ الاتكاء عليه لا يكفل التجاوب الأوسع مع ذلك الشعر وحسب، بل يقدِّم أيضاً شهادة على الاعتزاز بالموروث المشترك"[82].

ومن الشخصيات التي تنتمي إلى الفلكلور الشعبي واهتم بها الشعراء الليبيون شخصية **(شهرزاد)** "التي ترمز إلى المرأة العربية التي ما زالت تعيش أسيرة عصر الحريم، تتلاشى آمالها عند تحقيق حياة مادية باذخة تقيض بالترف والدعة والخمول"[83]، والشاعر أبوالقاسم أبودية[84] استدعى هذه الشخصية لتكون رمزاً للمرأة الصلبة الواثقة من إمكانياتها في ترويض الظالمين والعتاة، وتجعلهم يعودون إلى رشدهم، فيقول:

عصرنا اليوم بحاجة
لعديد من نساء
مثلك يا شهرزاد
فعسى يصلحن من طبع العباد
***
إنَّهم حتماً بحاجة
لحليلة وحليلة
مثلك ياشهرزاد
فعساهم
أنْ يثوبوا للرشاد[85]

يلاحظ من خلال النص أنَّ البنية اعتمدت على كثرة الأفعال، ممَّا يدل على نفسية الشاعر

الجانحة للمرأة القوية الذكية، وديناميةالنص المتدفِّقة من أجل توليد دلالة أنَّ عصرنا الراهن في أمسِّ الحاجة إلى شهرزاد جديد، تماثل سلفها الأول في الصلابة والحنكة والذكاء.

كما وظف الشاعر مفتاح العماري[86] شخصية (زرقاء اليمامة) واستطاع أنْ يضفي عليها دلالات ذات أبعاد جديدة، فيقول في قصيدة (زرقاء اليمامة):

قدنا جيشاً من الأشجار صوب
غابة الضوء
رأتنا الزرقاء
فأنبأت بالذي ساعة المطر
يكون[87]

لقد استطاع الشاعر توظيف زرقاء اليمامة توظيفاً معاصراً برؤية واقعية في نسيجه الشعري، والدلالة الأساسية التي تحملها زرقاء اليمامة هي القدرة على التنبؤ واكتشاف الخطر قبل وقوعه والتنبيه عليه، وتحمَل نتيجة إهمال الآخرين وعدم الإصغاء إلى تحذيرها.

والشاعر علي صدقي يستثمر شخصية (الغول) للتعبير بها عن واقعه العربي تحت وطأة غاصبيه، فيقول:

الغول قد احترف الصلب
صلب الإنسان بهذا القرن العشرين
أنظر يا أوروبي
يا أمريكي
في جسمك
تبصر مسمار الصلب علي قلبك
أنظر من يضرب مسمار الصلب

فيهوذا الغول هو الضارب[88].

وظَّف الشاعر شخصية الغول المتمثِّل في الصهيونية، وقد منح هذه الشخصية صفات ترمز إلى القتل والتشريد والإبادة؛ لأنَّ هذا الغول لا يجيد إلا ذلك، وهو بهذا التوظيف يحاول أنْ يعطي بعداً دلالياً، باعتبار أنَّ النضال ضد هذا الغول واجب، كما يحرِّض على إعادة النظر في موقفه علَّهم يكتشفون عندئذ أنَّ هذا الغول ويهوذا وراء كل هذه الشرور التي تلحق بالشعوب، وأنَّ التمسُّك بالقيم النبيلة والأرض والعرض يعد نوعاً من المقاومة في وجه الصهيونية ورفضاً لها، وأنَّ جحافلهم ستمضي حتماً مهما طال الزمن.

وهكذا فقد وضحنا من خلال ما تقدَّم أنَّ الشاعر الليبي المعاصر قد حذا حذو غيره من الشعراء العرب في العودة إلى التراث عودة فنية، لا تقوم على أساس المتابعة والتقليد، ولا تدعو إلى المقاطعة والإهمال، وإنَّما تستلهم ذلك التراث في نتاجات أدبية متميزة، تجمع بين الأصالة والمعاصرة، وتمد أواصر الماضي في الحاضر، وتوجهها نحو المستقبل.

لقد كان التراث خلقاً للحياة والخلود يتضمن التجربة ويقدم الرؤية، ذلك كله في أسلوب قوامه التلميح والترميز، ولغة أساسها الإيجاز والتكثيف، تشع بالإيحاء والظلال، وبموجب هذا التوظيف وهذه المثاقفة تحول النص الشعري عند الشعراء الليبيين إلى متن مفتوح على مختلف القراءات غي ارتباطاتها بمختلف الأزمنة والأمكنة .

من هنا كان لابد من مراجعة التراث وتنميته وحسن محاورته و مثاقفته لاستجلاء قيمته واستثمارها وتوظيفها جمالياً وفكرياً، وصدق عبد الصبور حين قال: "التراث هو جذور الفنان الممتدة في الأرض، والفنان الذي لا يعرف تراثه يقف معلَّقاً بين الأرض والسماء"[89].

من هنا يمكن القول بأنَّ الشاعر الليبي المعاصر قد ثاقف التراث من أجل المحافظة على أصالته وأصالة شعره ويثبت تميزه في تجربته الشعرية المعاصرة.

الخاتمة:

أهم النتائج التي انتهى إليها هذا البحث تكمن في الآتي:

1- التراث ثروة قيمة لا تنضب، فهي دائمة التنقل من جيل لآخر، ومن زمن لآخر، والمنبع الذي يصون ثقافة الشعوب وعلومها وآثارها على مر العصور.

2- لم يوظف الشعراء الليبيون التراث عبثاً ولم يوظفوه لالتقاء التعابير والكلمات في ثنايا القصيدة، بل لغاية أن يمنحوا القصيدة سنة السمو والارتقاء، والأخذ بعين الاعتبار من شخصيات تراثية لما لها من خيط واصل للحالة الشعورية، وتتناسب أحداثها مع أحداث الشخصية الشاعرية.

3- أثبتت محصلة الشعراء من نتاجهم أن التوظيف لديهم مثّل انعكاساً لثقافتهم وصدق تجاربهم الشعرية، وقدرتهم في النهل من معين الماضي.

4- العوامل السياسية والاجتماعية كانت أحد أهم العوامل المساعدة في خلق هذا الوعي لدى الشعراء.

5- إدراك الشاعر الليبي أن التراث الإنساني كيان له أبعاده الفكرية والإنسانية يستوجب منه وعيا وتفهما وإدراكا من خلال الإحساس بالمعنى الإنساني فيه واستخراج المواقف التي لها صفة الديمومة.

6- إنَّ الفكر الإصلاحي الذي عاشه الليبيون إبان فترة الاحتلال الغاصب أدى دوراً مهماً في حياة الشعراء، مما أدى بهم إلى استحضار الرواد بمختلف أنواع شخصياتهم لإبراز قيمتهم .

هوامش البحث ومراجعه:

1- ابن منظور: لسان العرب،(ورث) ص: 199.
2- المصدر نفسه: مادة (ورث).
3- خليل البحر: المعجم العربي الحديث،(ورث) ص1280.
4- بطرس البستاني:محيط المحيط، ص: 69.
5- معجم الوسيط: أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، ص:13.
6- ابن ماجة: سنن ابن ماجة، ج1002/2.
7- المصدر نفسه: ج81/1.
8- عمرو بن كلثوم شاعر جاهلي عرف بشعره وفروسيته، ينظر ترجمته: الأغاني للأصفهاني:54/11.
9- الزوزني: شرح المعلقات السبع، ص 122.
10- محمد الزبيدي: تاج العروس، ت/ علي هلال، ص/269.
11- عبد النور جبور: المعجم الأدبي، ص/63.
12- حسن حنفي: التراث والتجديد، ص: 13.
13- جابر عصفور، هوامش على دفتر التنوير، ص 22.
14- صلاح عبد الصبور: الأعمال الكاملة، ص 150.
15- محمد الجابري: التراث والحداثة، ص23.
16- عبد السلام هارون: التراث الغربي، ج6/1.
17- عثمان حشلاق: التراث والتجديد في شعر السيَّاب، ص10.
18- جماليات القصيدة المعاصرة، ص55.
19- أحمد ميهوب: توظيف التراث في الشعر اليمني المعاصر، ص 30.

20- ينظر:علي عشري زايد: توظيف التراث العربي في شعرنا المعاصر ، مجلة فصول، 2004.

21- صلاح عبد الصبور:الأعمال الكاملة، ج 422/9.

22- حرير بوهرر: شكل الموقف النقدي عند أدونيس ونزار قباني، ص40.

23- صلاح عبد الصبور، الأعمال الكاملة، ج150/9.

24- ابن منظور: لسان العرب، مادة شخص،مج 1ص:455.

25- أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة،تح عبد السلام هارون، مادة شخص، مجلَّد:3 ص:254.

26- نصر محمد عباس: البناء الفني في القصة المعاصرة، دراسة نقدية، ص26.

27- علي عشري:توظيف التراث في شعرنا المعاصر ،مج 1، ص:205.

28- سامح الرواشدة: القناع في الشعر العربي الحديث، ص:10.

29- مأمون عبد القادر: جمال الغيطاني والتراث، ص: 39.

30- علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية، 97.

31- عبد المجيد القمودي، شاعر ليبي من مدينة الزاوية، ولد سنة1943م، ينظر: معجم الشعراء الليبيين،عبد الله مليطان:1: 304.

32- عبد المجيد القمودي: قصائد بين يدي وطني، ص: 114.

33-إدريس الطيب:مواليد المرج الليبية1952م شاعر وله العديد من الدواوين، ينظر ترجمته: دليل المؤلفين العرب الليبيين-دار الكتب الوطنية،طرابلس،ص:13.

34- إدريس الطيب: تخطيطات على رأس الشاعر، ص:101.

35- محمد المزوغي: من شعراء بنغازي وولد بها سنة1961م،وله العديد من المؤلفات، ينظر: دليل المؤلفين العرب الليبيين، ص:355.

36- محمد المزوغي: ديوان بعض ما خبأ الياسمين، ص: 144،145.

37- عبد الحميد بطاو: شاعر ليبي من مواليد درنة1941م، له العديد من الدواوين الشعرية، ينظر: معجم الشعراء الليبيين:عبد الله مليطان،253/1.

38- عبد الحميد بطاو: ديوان أشجان هذا الزمان، ص:105.

39- المرجع نفسه ، ص:123.

40- يهوذا: شخصية دينية من اتباع عيسى-عليه السلام- ينظر بتصرف: المنصف لابن أبي شيبة، تح- أسامة بن إبراهيم،2008،ج546/11.

41- لطفي عبد اللطيف: مواليد تونس 1942م،شاعر ليبي وله عدة دواوين، ينظر: معجم الشعراء الليبيين: مليطان،425/1.

42- النمش: هو أثر الشيء في غيره،أي بقع على وجه تخالف لونه، وقيل هي بمعنى السيف الذي به شطب وهي خطوط تتراءى في متنه،المعجم الوسيط(نمش)1، 963.

43- لطفي عبد اللطيف: ديوان حوار من الأبدية، ص: 20.

44- ناصر الوحيشي: الرمز في الشعر العربي، 46-47.

45- علي الفزاني: ديوان أرقص حافيا، ص: 57-58.

46- عبد الحميد بطاو: ديوان عندما صمت المغني،ص:5

47- جيلاني طريبشان: ولدعام1944م الرجبان، بالجبل الغربي ليبيا، له عدة دواوين، ينظر: معجم الشعراء الليبيين: مليطان88/1.

48- جليلاني طريبشان: ديوان رؤيا في ممر عام1974، ص 33.

49- علي عالية: شعر الفلاسفة في الأندلس في القرنين الخامس والسادس الهجريين، أطروحة دكتوراه في الأدب، جامعة الحاج لخضر-الجزائر2004، ص:270.

50- علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية، ص:120.

51- جيلاني طريبشان: رؤيا في ممر، ص:47.

52- قريرة زرقون: الحركة الشعرية في ليبيا، ص:175.

53- لطفي عبد اللطيف: ديوان دمعة الحادي،ص43.

54- عبد الباسط الدلال:ولد بمدينة درنة 1935م، شاعر وله العديد من المؤلفات الشعرية، ينظر: معجم الشعراء الليبيين: مليطان،1، 250.

55- ديوان فسيفساء أندلسية: عبد الباسط الدلال، ص:19- 20.

56- المعتصم بالله العباسي/ ينظر: ترجمته: تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين للسيوطي، ص243.

57- عبد المولى البغدادي:ولدعام1938 بطرابلس، وله عدة دواوين شعرية، ينظر: معجم الشعراء الليبيين: عبد الله مليطاان،318/1.

58- عبد المولى البغدادي: ديوان أين حكام العرب، ص: 8.

59- خالد زغبيه: ولدسنة1933م ببنغازي، شاعر يمتاز بغزارة إنتاجه، ينظر: دليل المؤلفين العرب الليبيين:120.

60- خالد زغبية: أغنية الميلاد، ص:116.

61- عبد الله ركيبي: الأوراس في الشعر العربي المعاصر، ص:15.

62- السنوسي حبيب: من مواليد هون بليبيا 1956م، له دواوين شعرية مطبوعة، ينظر: دليل المؤلفين العرب الليبيين ص:151.

63- السنوسي حبيب: عن الحب والصحو والتجاوز، ص:24.

64- عبد الحميد بطاو: ديوان عندما صمت المغني، ص: 14.

65- علي الرقيعي: مواليد طرابلس 1934م،امتاز بغزارة شعره وله دواوين عدة، ينظر: الشعر و الشعراء في ليبيا- محمد عفيفي، ص:444.

66- علي الرقيعي: ديوان الليل والسنون الملعونة، ص: 56.

67- علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية، 138.

68- خالد الغريبي: جدلية الأصالة والمعاصرة في أدب المسعدي: ص:62.

69- الزند: هو العود الأعلى الذي تقدح به النار فتشتعل، ينظر: المعجم الوسيط، باب الزاي (زند) 405/1.

70- خلد زغبية: ديوان غدا سيقبل الربيع، ص:83.

71- الشعارير: غير النابه من الشعراء، وهو فوق المتشاعر ودون الشويعر، المعجم الوسيط: باب الشين.487/1

72- نفس المصدر، غداً سيقبل الربيع: ص83.

73- علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية، ص: 56.

74-علي البطل: الرمز الأسطوري في شعر السياب، ص:259.

75- أحمد النعيمي: الأسطورة في الشعر العربي، ص:204.

76- عشتار: هي آلهة الحب والخصب والحرب عند شعوب المشرق العربي القديم، ينظر: لطفي الخولي: معجم الأساطير1990، ص127.

77- علي الفزاني: ديوان الطوفان آت، ص:23.

78- شمشون: من أساطير التوراة، وهو من استعان على مصيبته بقوة الإيمان، فعادت إليه قوته الجبارة ،ينظر ترجمته: الأسطورة في الشعر العربي الحديث: أنس داود،1992،ص:384.

79- عبد الحميد بطاو: ديوان مرثية مرائية، ص:63.

80- الفلكلور: هو نتاج جماعي يخلد نماذج من الثقافة تعبر عن دور التراث، وذلك الجزء من الثقافة الذي يحتفظ به عن وعي وغير وعي في المعتقدات والعادات والأساطير والحكايات، وكذلك الفنون والحرف التي تعبر عن طباع جماعة وعبقريتها، ينظر: مقدمة في الفلكلور: أحمد مرسي،1975،ص:86.

81- علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية، ص:202.

82- إحسان عباس: اتجاهات الشعر العربي المعاصر، ص 118.

83- علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية، ص 202.

84- أبوالقاسم أبودية: ولد سنة1930 بيفرن الجبل الغربي، له عدة دواوين من بينها، (وانفجر البركان) ينظر ترجمته: دليل المؤلفين العرب الليبيين 1077، ص:20.

85- أبوالقاسم أبودية: ديوان وانفجر البركان، ط1-1971.

86- مفتاح العماري: شاعر ليبي ولد ببنغازي 1956م،من بين دواوينه (قيامة الرمل92) ينظر: معجم الشعراء الليبيين، مليطان،524/1.

87- مفتاح العماري: ديوان قيامة الرمل، ص:20.

88- علي صدقي عبد القادر: الأعمال الشعرية الكاملة، ص:739.

89- صلاح عبد الصبور: الأعمال الشعرية الكاملة، ج 9-150.